

الدعوة إلى الله منهجها ومقوماتها

د / محمد بن أحمد الصالح *

استاذ الفقه بكلية الشريعة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . . أما بعد :

فإن الدعوة إلى الله وظيفة الرسل . . ومهمة الأنبياء . . ليردوا الناس إلى توحيد الخالق . . لأن الناس هم الأساس الحقيقي للتغيير، والجاهليرهم الذين ذهب إليهم الأنبياء والرسل وعلى رأسهم أميرهم محمد ﷺ، فقد اتجهوا إلى أفراد الأمة يقوون الضعيف، ويعلمون الجاهل، ويشدون أزر المستوحش في هذه الحياة، كل ذلك لغرس الإيمان بالله في النفوس، والاعتماد عليه، والتعلق به، والإستناد إليه عندما يشعرون بالضعف والمسكنة، أمام متاعب الحياة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (١).

وهكذا كانت مهمة خاتم الرسل محمد ﷺ ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (٢).

وكان الأمر له أمراً إلى الدعاة من بعده .

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَاغٍ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

* ورد لكتاب البحث ترجمة في العدد العاشر ص ٣٠٣ .

(١) سورة الانبياء . الآية : ٢٥ .

(٢) سورة المائدة . جزء من الآية : ٦٧ .

بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١﴾ ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَأَحْجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢)

وكانت أهم صفات الأمة المسلمة الدعوة إلى الله يصفها بها رب العالمين
 ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (٣). وهكذا يجعل واجب هذه الأمة الدعوة إلى الله
 أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر على رأي، ويجعله واجب طائفة منها على وجه
 آخر. تبعاً لاختلاف حول تفسير قوله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٤)

فالذين فسروا منكم بأن من بيانيه. قالوا إنه واجب الأمة كلها وإن
 الغرض «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الدعوة إلى الله» فرض عين على
 كل قادر عليه والذين فسروا من بأنها تبعية قالوا إنه واجب طائفة من الأمة
 إذا قامت به سقط عن الباقي، ولعلمهم استدلووا بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٥).

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وإذا كانت هذه مهمة الأنبياء والمرسلين فقد وجب أن يكون الدعاة من
 بعدهم على مستوى رفيع يتسنى معه حسن حمل الرسالة وحسن أدائها،
 ونتناول بإذن الله في مبحثين: صفات الدعاة، ثم طرق الدعوة إلى الله.

(٤) سورة آل عمران. الآية: ١٠٤.

(١) سورة النحل. الآية: ١٢٥.

(٥) سورة التوبة. الآية: ١٢٢.

(٢) سورة الشورى. الآية: ١٥.

(٣) سورة آل عمران. جزء من الآية: ١١٠.

المبحث الأول

صفات الدعاة

لابد للداعية من صفات يرتفع بها إلى أهلية حمل الرسالة التي حملها الرسل من قبل لا بد له من :

١ - إيمان عميق .

٢ - علم دقيق .

٣ - خلق وثيق .

١ - أما الإيمان العميق :

وليس الإيمان علم القلب فحسب، لكنه كذلك عمل القلب، فالعلم بالله وأسمائه وصفاته وإن كان لازماً إلا أنه لا يكفي وحده لقيام الإيمان بل لابد معه من عمل القلب، حباً لله ورجاءاً في الله، وخوفاً من الله واعتصاماً بالله، وحباً في الله وبغضاً في الله.. إلخ.

هذا الإيمان بتفصيلاته يورث الداعية إلى الله شجاعة في الدعوة فهو يخشى إلا الله قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾ (١).

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَبَعُوا كُفْرَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى دَارِهِمْ لِيَمْسِسَهُمُ الْسُّوءُ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢).

وينبثق عن هذا الإيمان نشيد يردده الداعية في كل وقت ويواجه فيه الظلم

(١) سورة الأحزاب . جزء من الآية : ٣٩ .

(٢) سورة آل عمران . الايتان : ١٧٣ - ١٧٤ .

والظالمين قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥١) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ وَعَذَابٌ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَيدِنَا فَنَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿١﴾.

فيعطي ذلك كله الداعية طاقة من التوكل لا تمنعه الأخذ بالأسباب كما تعطيه طاقة على مواجهة الأحداث والصبر عليها.

كذلك فالداعية ينفث هذا الإيمان بين من يدعوهم تصحيحاً لعقائدهم واستكمالاً لنقصها، وزيادة فيها كان طيباً منها.

والعقيدة دائماً نقطة البدء اللازمة إما عطاء لمن حرّمها أو تصحيحاً لمن غلط فيها أو استكمالاً لما نقص منها.

٢ - العلم الدقيق :

فاقد الشيء لا يعطيه ومن ثم فالداعية الجاهل لا يستطيع أن يعلم غيره.

يا أيها الرجل المعلم غيره هلاً لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذو الضنا كيما يصح به وأنت سقيم

بيد أن العلم المطلوب بالنسبة للداعية يتعدد، فهو أولاً العلم بالدعوة، العلم بأصول هذا الدين، وفروضة، وأحكامه. والعلم بمصادر هذا الدين من قرآن، وسنة وكيفية تفهمهما، وما يتفرع عن هذه المصادر ويستمد منها مثل الإجماع والقياس والمصلحة إلخ. وذلك اللون من العلم لازم وإلا فكيف يدعو إلى ما لا يعلم؟. وهو ثانياً العلم بأحوال المدعوين، العلم بعقلياتهم وعقائدهم وظروفهم وبيئتهم، فذلك يمكنه من حسن الاختيار، لما يناسبهم

(١) سورة التوبة. الآيتان: ٥١ - ٥٢.

ولما يعالج أدواءهم ، وقد كان كل نبى يعرف ظروف قومه فيدعوهم بعد التوحيد إلى ترك ما يغضب الله .

فبعد أن يدعوهم إلى الله يقول : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١﴾ . وصالح يقول لقومه ثمود : ﴿ أَتَرْكُونَ فِي مَاهُتْنَاءِ إِمْنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هُضَيْمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٢﴾ .

ولوط يقول لقومه : ﴿ أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿٣﴾ .

وشعيب يقول لقومه : ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ .

وهكذا . . يلزم معرفة ظروف المدعوين وأدوائهم تماماً كما يفحص الطبيب أولاً ليحدد الداء قبل أن يصف الدواء .

وهو ثالثاً : العلم بالتيارات الفكرية المختلفة :

وهو وإن كان يدخل في ظروف المدعوين ، لكننا خصصناه بالذكر لأنه لا يحظى في بلاد كثيرة إسلامية باهتمام المفكرين والذين يخططون لإعداد الدعاة .

وذلك رغم أن التيارات الفكرية العالمية صارت تتحكم في العالم وتتقاسم

(١) سورة الشعراء ، الآيات : ١٢٨ - ١٣١ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيات : ١٤٦ - ١٥٠ .

(٣) سورة الشعراء ، الايتان : ١٦٥ - ١٦٦ .

(٤) سورة الشعراء ، الايات : ١٨١ - ١٨٣ .

فيه النفوذ وصار لها من التأثير والأهمية ما يجعل الإلمام بها مهما لكل داعية لدفع أثرها من النفوس فالكفر يسبق الإيمان والتخلية تسبق التحلية وهدم الأنقاض يسبق البناء قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾^(١).

وهو رابعاً العلم بطرق الدعوة ووسائلها وغاياتها:

أو بعبارة عامة - العلم بفن الدعوة. فالدعوة إلى الله فن لا يستطيعه إلا من آتاه الله أسبابه وسعى إليها سعياً حثيثاً فالأمر يقتضي الإستعداد أولاً ثم التدريب أو الممارسة ثانياً.

والدعوة إلى الله . . ليست هي الخطابة ولا القدرة على الحديث بألوانه المختلفة، إنما هي قبل ذلك كله إخلاص والتزام وقدوة ومواقف يقفها الداعية لله انتصاراً للحق وانتصاراً من البغي.

٣ - أما الصفة الثالثة: فهي الخلق الوثيق:

وهي مرتبطة بالإيمان والعلم ونتيجة عنها: وهي التي تغزو قلوب المدعوين قبل أن يغزوها حلو الكلام أو حسن الاستدلال. . وفي مقدمة الأخلاق اللازمة للداعية. . الإخلاص والتجرد. . يليها الحلم يليها الصبر.

فلئن كانت الأخلاق صفة لازمة على وجه عام فتلك الألوان من الأخلاق لازمة بوجه خاص لأنها تساعد الداعية على ممارسة الدعوة كما تحفظ له حسن الاستمرار وحسن الإنتاج.

ويذكر بعض الفقهاء تلك الصفات عند الحديث عن النهي عن المنكر وهو أحد شقي الدعوة. . فيقولون:

العلم قبل الإنكار، والحلم عند الإنكار، والصبر بعد الإنكار.

(١) سورة البقرة. الآية: ٢٥٦.

ولقد يكون واضحاً علة العلم قبل الإنكار وعلة الحلم عند الإنكار أما الصبر بعد الإنكار فهو صبر لازم لما يستتبع الإنكار عادة من انصراف المدعويين في البداية مما يلزم معه الصبر عليهم.

قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ (١).

والصبر معها على أذى الطاغين: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ تَدْخُلُوا أَنَّ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٢).

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (٣).

وأخيراً الصبر انتظاراً للنصر:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٤).

ولذا كان من صفات المؤمنين ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٥).

تلك كانت صفات لازمة: إيمان عميق، وعلم دقيق، وخلق وثيق.

ننتقل بعدها للحديث بإذن الله عن طرق الدعوة.

(١) سورة الكهف. الآية: ٢٨.

(٢) سورة البقرة. الآية: ٢١٤.

(٣) سورة آل عمران. الآية: ١٤٢.

(٤) سورة النصر كاملة.

(٥) سورة العصر. الآية: ٣.

المبحث الثاني طرق الدعوة

تمهيد :

ليست الدعوة علماً يلقن أو فناً يدرس بقدر ما هي موهبة وفضل يؤتيه الله من يشاء وإن كان من كسب للإنسان فهو أولاً من خلقه فالتحلي بخلق الإسلام هو أكبر دعوة يسير بها المسلم بين الناس ، هي التي تفتح قلوبهم وعقولهم على هذا النور العظيم .

ثم هي ثانياً في إحساسه بمسئوليته تجاه الدعوة أنها ليست حكرًا على صنف من الناس وإنما الأمة كلها شاهدة على الناس بما دعتهم إليه بسلوكها وإيمانها وعملها : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾^(١).

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾^(٢) وهذه الأمة التي تكررت في الآيتين هي التي وجه الله إليها الخطاب .

قال جلّ وعلا : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾^(٣).

فكان فهمها الصحيح ولتكونوا أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويزيد من مسئوليتنا تجاه الدعوة إحساسنا بتخلي الكثيرين عنها، ثم إحساسنا بتجمع الأعداء عليها من كل جانب كأنها تركة أيتام تجمع حولها اللثام .

وليس من أمة محمد ﷺ رجال يدفعون عنه .

وبعد فإن الخلق إذا تحلى به المسلم فإنه يصير دعوة تتحرك .

(٣) سورة آل عمران . جزء من الآية : ١٠٤ .

(١) سورة البقرة . جزء من الآية : ١٤٣ .

(٢) سورة آل عمران . جزء من الآية : ١١٠ .

العوامل التي تنهض بها الدعوة

تتوقف طرق الدعوة على عدة عوامل :

١ - من ندعو :

فأسلوب الدعوة إلى الشباب غير أسلوب الدعوة إلى الشيوخ، وأسلوب الدعوة إلى النساء غير أسلوب الدعوة إلى الرجال، وأسلوب الدعوة إلى الأطفال غير أسلوب الدعوة إلى الكبار وأسلوب الدعوة إلى المؤمنين غير أسلوب الدعوة لغير المؤمنين. ويكفي أن نأخذ نموذجاً من منهج النبي ﷺ، فقد أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في المسند من رواية أبي أمامة، قال إن فتى من الأنصار أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إئذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه فقال: أدنه فدنا منه قريباً قال: فجلس، قال: أتجبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أف تجبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أف تجبه لأختك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أف تجبه لعمتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أف تجبه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^(١). فصرف الله عنه السوء وكان تسأول رسول الله ﷺ خير دعوة لترك الزنا.

أسلوب القرآن في الدعوة :

وفي القرآن أساليب كثيرة لدعوة غير المسلمين، تستجيش فيهم فطرتهم السليمة، وتستجيش فيهم عقولهم السليمة، وتستجيش فيهم القيم والمثل والأخلاق، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخَذُوا لِيَأْخُذُوا بِالْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَا يُطْعَمُهُمْ﴾^(٢)

(١) الفتح الرباني ١٦/٧٠. مسند الإمام أحمد ٥/٢٥٦.

(٢) سورة الأنعام. جزء من الآية: ١٤.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١).

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾^(٢) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى^(٣).

مكان الدعوة

أين ندعو :

مكان الدعوة كذلك وكيف طريقها، فالدعوة في بلاد الإسلام غير الدعوة في ديار غير المسلمين. والدعوة في مكان انتشر فيه العلم غير الدعوة في مكان خيم عليه الجهل، والقصد بالجهل والعلم بالدين والجهل به ولو بلغ أصحابه أرقى المؤهلات العلمية في تخصصات أخرى. . بيد أن ارتفاع المستوى الفكري بصفة عامة يحدد كذلك أسلوب الدعوة.

إلى من ندعو :

فأسلوب الدعوة إلى العقيدة يغير أسلوب الدعوة إلى المعاملات وقد قدمنا الحديث في هذا العنصر الأخير.

هذه العناصر إلى جوار غيرها كالظروف السائدة وكالزمان القائم إلى غير ذلك تحدد أسلوب الدعوة وهي بعد ذلك :

أسلوب السلوك والأخلاق :

وهو أول الأساليب وأنجعها وأنجحها في الدعوة وهو أهم الأساليب

(١) سورة الأنبياء، آية ٢٢.

(٢) سورة طه الايتان، ٧٤ - ٧٥.

كذلك من ناحية من يخاطب ومن يخاطب فهو خطاب في الواقع من الكافة إلى الكافة.

كل إنسان يستطيع هذا الخطاب وكل إنسان يفهم هذا الخطاب وبهذا الخطاب فتحت القلوب لرسول الله ﷺ .
ولنأخذ مثلاً أول :

حيث داهم أعرابي رسول الله ﷺ وهو نائم فرفع عليه السيف وقال له من يمنعك مني ؟ فقال رسول الله ﷺ الله فسقط السيف فأمسك به رسول الله ﷺ وقال له من يمنعك مني . . فقال لا أحد . . ولكن الرسول ﷺ صفح عنه فدخل الإسلام^(١).

ولنأخذ مثلاً ثانياً :

يوم فتح مكة حين قال لهم رسول الله ﷺ ، وهم الذين آذوه وأخرجوه من بلده . . ما تظنون أي فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء^(٢).

ولنأخذ مثلاً ثالثاً :

أسلوب يوسف عليه السلام مع إخوته الذين ألقوا به في الجب قال :
﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ﴾^(٣).

ثم لنعلم بعد ذلك :

أنه بهذا الأسلوب فتحت على المسلمين مساحات من الأرض أكثر مما فتحت بحد السيف، إن السيف يطيح برءوس الطغاة، أما السلوك والأخلاق فتفتح قلوب الناس.

(١) واسمه: غوث بن الحارث، صحيح البخاري ١٤٦/٥ - ١٤٧، ٤٧/٤ - ٤٨. طبعة مصطفى الحلبي. سنة ١٣٤٥هـ.

(٢) سيرة ابن هشام ٣٢/٤ مراجعة محمد محي الدين عبد الحميد.

(٣) سورة يوسف. جزء من الآية: ٩٢.

وإذا كان السلوك والأخلاق أسلوباً عاماً يخاطب به الكافة الكافة فهو أسلوب أخص وألزم لمن اتخذ الدعوة مهنة له ومهمة، وبغيره يغدو كل أسلوب آخر سيفاً مغلولاً وسلاحاً مغمداً لا قيمة له .

ولذا فننصح الدعاة أن يكون لهم من الفهم الدقيق والإيمان العميق، والخلق الوثيق ما يفتحون به القلوب :

المواقف والمثل :

لعل هذه تدخل في الأولى لكنها أخص فلا يستطيعها إلا أولو العزم، ونحن نندب الدعاة أن يأخذوا دائماً بالعزيمة فليس لمن كان في موضع القدوة أن يترخص ولذلك لم يترخص الرسول ﷺ حين اشتد به أذى الكفار ودعاه عمه أن يلين لكنه قال : والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه^(١).

ولم يترخص عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ويتبع نهج ملوك بني أمية ويسير في ركا بهم وإنما أعرض عن بهجة الحياة الدنيا وزخرفها وعاد بالأمّة إلى عهد الخلفاء الراشدين وصدق عليه قول النبي ﷺ إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمّة من يجدد لها أمر دينها فكان رضي الله عنه هو المجدد الأول .

ولم يترخص الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه حين دعاه الحكام أن يقول إن القرآن مخلوق بل احتمل الأذى والعذاب .

وهكذا فإن على الداعية أن يقتدي بهؤلاء وغيرهم من المصلحين والمجددين والعلماء العاملين أمثال العز بن عبد السلام وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية وإمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب وسيد قطب ممن تحملوا العذاب في سبيل الحق لأنهم علموا أن ثباتهم ببقيتهم مشاعل على الطريق تضيء لمن خلفهم وهم كثير، وأن لينهم مع الباطل وترخصهم يطفئ ضوءهم

(١) سيرة ابن هشام ٢٧٨/١ مراجعة محمد محي الدين .

فلا يعودون صالحين لأن يضيئوا لمن خلفهم وكم من الناس أطفأ بترخصه نوره الذي آتاه الله، وكم من الناس نزل أكثر من ذلك ليصح فيه قول الله ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَلَخْ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَٰوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ . . . ﴿ٱلآيَةُ (١)﴾.

ولئن كانت الأخلاق سبباً ناجحاً للدعوة، فالمواقف والمثل سبب أنجح. ولننظر من القديم . . غلام كان موقفه سبباً في إيمان أمه حين قتل الغلام (الراهب) وقتل (جليس الملك) وجرب الملك مع الغلام وسيلتين للقتل فنجا منها فدعا الملك أن يربطه بجذع نخلة ويجمع شعبه كله في صعيد واحد ثم يطلق السهم ويقول باسم الله رب الغلام ففعل الملك المقالة وأصاب السهم صدغ الغلام فسقط شهيداً فقال الناس أجمعون: آمنا بالله رب الغلام (٢) ولم يكن موقف الغلام دافعاً إلى إيمان أمة فحسب، بل دفعها إلى الإصرار على هذا الإيمان حين شق لهم الملك الأخاديد وأضرمها بالنيران وخير شعبه بين الرجوع عن دينهم أو الإلقاء في النار، ففضلوا جميعاً أن يلقوا في النيران على أن يرجعوا عن الحق الذي آمنوا به وخلد القرآن قصتهم في سورة البروج ﴿قُلْ أَصْحَابُ ٱلْأَخْدُودِ (٤) ٱلنَّارُ ذَاتُ ٱلْوُقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ (٨)﴾ (٣).

وفي الزمن الحديث أيضاً خلد الدعوة الإسلامية في مصر قتل حسن البنا سنة ١٩٤٩ سنة ١٣٦٨ هـ، وقتل عبدالقادر عودة ومن معه سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م. وقتل سيد قطب ومن معه سنة ١٩٦٦ م ١٣٨٥ هـ.

(١) سورة الأعراف. الآية: ١٧٥ وجزء من الآية: ١٧٦.

(٢) الجامع الصحيح ٤٠٧/٥ تحقيق أحمد شاكر (ومسلم) الزهد والرفائق. باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام.

(٣) سورة البروج، الآيات: ٤ - ٨.

وبين القديم والحديث مواقف رسول الله ﷺ ومواقف الصحابة رضي الله عنهم ومواقف الأئمة التابعين رضي الله عنهم ومواقف الأئمة والدعاة والعلماء من بعدهم فلم يخل وجه الأرض من قائم لله بحجة .

من وسائل الدعوة الخطابة والمحاضرة والدرس :

وهي كلها وسائل كلامية وإلى جوارها المقال والخطابة والقصة وهي وسائل كتابة وكل واحد من هذه له أصول ولكن يجمعها في مجال الدعوة :

١ - ابتغاء وجه الله :

لأنه بذلك ينقلب العمل عبادة يراد بها وجه الله ومن التمس رضي الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس .

٢ - الثقة بالله :

وهي تشيع الثقة والطمأنينة والثبات فتكون عامل نجاح للخطيب والمحاضر والكاتب مادام في نطاق الإسلام .

ويؤكد هذا قول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه «أنا عند حسن ظن عبدي بي»^(١) .

٣ - اتقاء ما يغضب الله لفظاً ومعنى : فالمؤمن ليس بطعان ولا لعان ولا بذىء ولا سباب ، وهو ما يعلمنا إياه القرآن :

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾^(٢) . ﴿ قُلْ لَا تُشْكِرُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْكِرُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٣) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ^(٤) .

(١) المقاصد الحسنة للسخاوي . ص : ٩٦ .

(٢) سورة الأنعام . جزء من الآية / ١٠٨ .

(٣) سورة سبأ . الايتان : ٢٥ - ٢٦ .

٤ - الصدق :

والمؤمن يفطر على كل خلق إلا الكذب والخيانة وحديث الصدق من القلب يصل إلى القلب ولو كان بعيداً عن الطلاء والزخرف فماذا لو كان الشكل متقناً بجوار صدق الموضوع .

٥ - الإحساس بالأمانة :

فالداعية حامل أمانة يبذل في سبيلها ويدافع عنها ولو أدى به الوقت أن يبذل في سبيلها الروح فإنه يفعل ، فوضعه مغاير لمن يؤدي وظيفة حسبها اتفق . بقي أن نقول إن الأساليب تتغير للزمن . . في القديم كانت الخطابة هي الوسيلة الأولى ، واليوم تقدمتها وسائل . . أخطرها ما يقدم على الشاشة والمسرح لأنه يترك تأثيراً عميقاً في نفوس الحاضرين بما يستحوذ على كل الحواس . . سمعاً ، وبصرأ ، وفؤاداً ، إلى جوار ذلك نقول :

إنه لا قيمة على المستوى العام لكل وسائل الدعوة إذا بقيت وسائل الإعلام في أيدي خدمة اليهود وعملائهم الذين ينفذون مخططاتهم في إشاعة الانحلال بين الشعوب الإسلامية ليسهل على الصهيونية أن تحقق حلمها التلمودي في أن تتركب الجنس الإسلامي كما امتطت من قبل الجنس النصراني وسخرته لأغراضها .

وينبغي أن تنقل وسائل الإعلام إلى أيدي الدعاة المخلصين ليسخروها في خدمة دعوة الإسلام حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتِلُوا قَتْلًا ﴾ ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ (١)

وإذا كانت الدعوة الصالحة المخلصة الصادقة تتحقق من خلال هذه

(١) سورة الأحزاب . الآيات : ٦٠ - ٦٢ .

المقومات وتبلغ حدها وتحقق أهدافها بصدق الداعية وإخلاصه في دعوته ولكونه يمثل إسلاماً متحركاً بما في الكلمة من معنى . فإن لنا في دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب خير مثل للدعوة الصادقة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها . والتي أضحت مثلاً لكل زعماء الإصلاح ورواده من بعده .

والله نسأل أن يوفق علماء المسلمين ودعاتهم إلى الأخذ بكتاب الله وسنة المصطفى ﷺ والعمل على إخراج الناس من الظلمات إلى النور كما نسأله تعالى أن يهدي ضال المسلمين ويثبتهم على الصراط المستقيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .